Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(5); May 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
07.04.2019	08.05.2019	15.05.2019

Tarif.. Gate and key of Andalusia A study of its political history

طريف .. بوابة الأندلس ومفتاحها– دراسة في تاريخها السياسي

أ. د. أحلام حسن مصطفى النقيب
قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الانسانية
جامعة الموصل/ العراق

أ. م. د. برزان ميسر حامد الحميد
قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الانسانية
جامعة الموصل/ العراق

Prof. Dr.
Ahlam Hassan Mustapha Anaqeeb
Dept. of History
College of Education and Human Sciences
University of Mosul / Iraq

Assistant Prof. Dr.
Barzan Myassar Hamid Al-Hameed
Dept. of History
College of Education and Human Sciences
University of Mosul / Iraq

الملخص

طريف أول قدم يطأها المسلمون من بلاد الأندلس، اسمها عربي أصيل حيث تنسب الى القائد طريف بن مالك المعافري المكنى أبو زرعة، الذي نزل بها في حملته الاستطلاعية سنة 91هـ/709م في أول الفتح الاسلامي للأندلس، وطريف احدى مدن الساحل الجنوبي الأندلسي أو ما يسمى بالعدوة الاندلسية.

تقع طريف تحديداً في جنوب الأندلس في آخر مضيق جبل طارق من ناحية المحيط الأطلسي على لسان منبسط يمتد الى ناحية المضيق، هذا الموقع المتميز تجلى في الدور السياسي الذي لعبته مدينة طريف منذ بداية الفتح الاسلامي حتى سقوطها على انها قاعدة عسكرية ساهمت في تدعيم حركة الفتح الاسلامي

واكمال مسيرة دعم الحكم المركزي بالاندلس بصورة عامة، فهي بوابة الأندلس ومفتاحها، ومنطقة اشراف مباشر على الساحل الجنوبي الاندلسي، هذا الموقع أكسب العرب المسلمين سرعة الاتصال والعبور ومكنهم من سهولة التموين والنجدات الذي أسهم في إطالة عمر الاسلام في الأندلس وآخّر زوال دولته لعدة قرون.

برز دور طريف منذ عبور يوسف بن تاشفين الى الاندلس، فبدأ مهمته بالسيطرة على طريف وإضافتها لحكمه بجوار جارتها مدينة الجزيرة الخضراء، واستمر اهتمام المرابطين بهذه المدينة حتى نهاية حكمهم للأندلس، ثم آل أمرها الى الموحدين اذ سيطروا على الاندلس بعد أن وضعوا أيديهم على مفتاح الاندلس طريف والجزيرة الخضراء.

وقد أولى الموحدين هذه المنطقة أهمية كبيرة وذلك لقربها من الساحل الجنوبي الغربي (العدوة المغربية) وحصانتها وسهولة الوصول إليها دون عائق يذكر، فقد أدت طريف دوراً بارزاً في زمن الموحدين سنتعرف عليه من خلال صفحات البحث.

قام تحالف بين بني الأحمر وبين مرين وكان للأخير فضل في إعانة مُحَمَّد بن الأحمر في الجهاد الاسلامي في الأندلس ومدافعته لنصارى الاسبان عنها، وكان ثمرة هذا التعاون قيام نظام مشيخة الغزاة ذلك التنظيم القوي من نوعه في تلك الحقبة الزمنية، فقد اهتم الطرفان بتدعيم هذا التنظيم بالجند والمال والاسلحة، واستمرت العلاقة بينهما وازدادت قوة وارتباطاً، وأعد الطرفان العدة لاسترجاع طريف لكنها استعصت على هذا التحالف مرتين وفقدها ابن الاحمر، وكان لفقدانها أثر بالغ على المسلمين وأولهم السلطان مُحَمَّد الفقيه نفسه، وقد حاول السلطان المريني بمساعدة سلطان غرناطة لاسترجاع طريف من يد النصارى لكنه لم يتمكن من استرجاعها، اذ ان النصارى قد أعدوا خطة للسيطرة عليها وشنوا هجمة عسكرية على جيوش المسلمين سنة 741هـ/1340م عرفت في المصادر العربية بـ (معركة طريف) أو كما يسميها ابن الخطيب (بالوقيعة العظمى) عندئذٍ خرجت طريف من حكم المسلمين لتصبح ضمن مناطق نفوذ ملك قشتالة الفونسو الحادي عشر.

الكلمات المفتاحية: العُدوة، طريف، بوابة الأندلس، مفتاح الأندلس، أبو زرعة.

Abstract

Tarif is the first foot introduced by the Muslims of Andalusia, the name of an authentic Arab where attributed to the commander Tarif bin Malik Maafri surnamed Abu Zarah, which came down in his reconnaissance campaign in the year 91 AH / 709 AD in the first Islamic conquest of Andalusia, and one of the cities of the southern coast of Andalusia or the so-called Andalusia Adwa.

Tarif is located in the south of Andalusia in the last Strait of Gibraltar on the Atlantic Ocean on a flat tongue extending to the Strait. This distinguished location was manifested in the political role played by the city of Tarif from the beginning of the Islamic conquest until its fall as a military base that contributed to the consolidation of the Islamic conquest And the completion of the march to support the central government in Andalusia in general is the gateway to Andalusia and its key and a direct supervision area on the southern coast of Andalusia, this site gained Muslim Arabs speed of communication and transit and enabled them to ease the supply and the doldrums, which contributed to prolong the life of Islam in Andalusia and the last disappearance of his country to Centuries.

The role of Tarif emerged since the crossing of Yusuf bin Tashinin to Andalusia and began his mission to control the road and add to his rule next to the neighbor city of the Green Island, and continued interest Almoravidin this city until the end of their rule of Andalusia, and then all its command to the Almohads as they took control of Andalusia after they put their hands on the key Andalusia Tarif And the Green Island.

The Almohads gave this region great importance because of its proximity to the south-west coast (the enemy of Morocco) and its immunity and easy access without hindrance. Tarif played a prominent role in the time of the Almohads.

An alliance between the sons of the Red and the Marin and the latter was preferred in the aid of Mohammed bin Red in the Islamic Jihad in Andalusia defender of the Spanish Spaniards, and the result of this cooperation the establishment of the regime of the invaders invaders that organization of its strong in that period of time has been interested in the parties to strengthen this organization, And the relationship continued between them and increased strength and link, and prepared the two parties to recover the Tarif, but this alliance twice and lost the son of the Red and had a significant impact on the Muslims and the first Sultan Mohammed al-Faqih himself, he Marinese Sultan, with the help of the Sultan of Granada, tried to retrieve Tarif from the Christians but he could not retrieve it. The Christians had prepared a plan to control it and launched a military attack on the Muslim armies in 741 AH / 1340 AD, known in Arab sources as "Battle of Tarif" The Great Awakening) then Tarif came out of the rule of the Muslims to become within the areas of influence of the reign of Castile Alfonso eleventh.

Key words: Al-Odwa, Tarif, Andalus Gate, Key to Andalusia, Abu Zar'a.

المدخل:

يهدف البحث الى دراسة التاريخ السياسي لجزيرة طريف باعتبارها أول نقطة يطأها المسلمون من بلاد الأندلس، اسمها عربي أصيل حيث انها تنسب الى القائد طريف بن مالك المعافري المكنى أبو زرعة، الذي نزل في حملته الاستطلاعية سنة 91هـ/ 709م في أول الفتح الاسلامي للأندلس، وطريف احدى مدن الساحل الجنوبي الاندلسي أو ما يسمى بالعدوة الأندلسية.

وفي هذا البحث المتواضع والصفحات الموجزة نحاول جاهدين تسليط الضوء على الدور السياسي الذي لعبته طريف منذ أن فتحها المسلمون في سنة 91هـ/709م وحتى سقوطها النهائي بيد الفونسو الحادي عشر ملك قشتالة وحليفة الفونسو الرابع ملك البرتغال، وذلك في المعركة الشهيرة التي عرفت في مصادرنا التاريخية بـ(معركة طريف) سنة 741هـ/1340م او كما يسميها ابن الخطيب في كل من الاحاطة واللمحة البدرية بإسم (الوقيعة العظمى).

وقد آثرنا اعتماد المنهج الوصفي التحليلي لما لهذا المنهج من مزايا في دراسة هذا البحث، إيماناً منّا بأن الدراسة لا تقتصر على سرد الأحداث التاريخية والوقائع، بل حاولنا مناقشة عدد من الأفكار والآراء والنصوص التاريخية وربطها ومناقشتها وتحليل أسبابها ومعرفة دورها بغية الوصول الى استخلاص النتائج في ضوء المعلومات المتوافرة وما تركته من آثار وذلك لرسم ملامح الصورة الواضحة المعالم تاريخياً.

المقدمة:

مدينة طريف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين وسكون المثناة وفاء في الآخر[1]، وطريف أول قدم يطأها المسلمون من بلاد الأندلس، تنسب طريف الى الجزيرة التي تقع أمامها[2]، فاسمها واضح وضوح الشمس عربي أصيل حيث تنسب الى القائد طريف بن مالك المعافري* الذي نزل بها في حملته

(1) القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت: 218/5.

(2) ابن سعيد، علي بن موسى بن مُحَمَّد، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيق، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1964: 319/1؛ المقري، شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988: 160/1.

* طريف بن مالك العافري، ينتسب طريف الى قبيلة عافر اليمنية بالمغرب العربي وقد كان أحد موالي القائد موسى بن نصير، لعب دوراً كبيراً أثناء عملية الفتح العربي الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية وإليه تنسب جزيرة طريف.
ينظر: المقري، نفح الطيب: 229/1، 253، 258.

الاستطلاعية سنة 91هـ/709م في أول الفتح الاسلامي للأندلس[1]. وقد كان اسمها قبل ذلك لاس بالوماس (Las Palomas) كما كانت تعرف في عهد الوندال بـ (طرادوكته)[2].

وطريف هي إحدى مدن الساحل الجنوبي الأندلسي أو ما يسمى بالعدوة الأندلسية التي تتكون من ثلاث مدن هي مدينة الجزيرة الخضراء (Algeciras) ومدينة جبل طارق (Gibratar) وثالثها مدينة طريف (Tarifa)[3] موضوع بحثنا.

لو جئنا الى مفهوم العُدوة في اللغة العربية فهي ترجع الى مصدر عُدَّى فلان عن الأمر أي خلاّهُ وانصرف عنه كما تأتي بمعنى تجاوز الشيء الى غيره فيقال عَدَّى الرجل الى الشاطئ الآخر للنهر[4].

وقد وردت كلمة العُدوة في القرآن الكريم في قوله تعالى: **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ**[5]. كما وردت في الحديث الشريف (لو كانت لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان...)[6].

ومن حيث المفهوم الاصطلاحي للعدوة فقد شاع استخدامه في تاريخ الأندلس والمغرب[7]. حيث استعمل الأندلسيون والمغاربة هذا اللفظ كل حسب موقعه (العُدوة الأندلسية) و (العُدوة المغربية) أو كليهما معاً[8]

(1) الحميري، أبو عبد الله مُحَّد بن مُحَّد بن عبدالله بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، بيروت، دار القلم للطباعة، 1975، ص127؛ الغساني، مُحَّد الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، 2002، ص34-35.

(2) شكيب ارسلان، الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت: 36/1.

(3) ابن القوطية، أبو بكر مُحَّد بن عمر القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: عبدالله أنيس الطباع، ط1، بيروت، لبنان، 1994، ص77؛ الناصري، ابو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري و مُحَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997: 138/1.

(4) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَّد المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، تح: مُحَّد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص327؛ ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت: 589/2.

(5) سورة الأنفال، آية : 42.

(6) ابن الأثير، المبارك بن مُحَّد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود مُحَّد الطناجي، دار الباز، د.ت: 194/3؛ العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح الامام أبو عبدالله مُحَّد بن اسماعيل البخاري، تح: محب الدين الخطيب، ط3، القاهرة، 1986: 189/1.

(7) الناصري، الاستقصا، ج 1-135/2.

(8) ابن عذاري، ابو العباس أحمد بن مُحَّد، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح: مُحَّد ابراهيم الكناني و مُحَّد بن تاويت وعبدالقادر زمامة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1985، ص502.

تقع مدينة طريف تحديداً في جنوب الأندلس في آخر مضيق جبل طارق* من ناحية بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) على لسان منبسط ممتد الى ناحية المضيق ويوجد أمامها بالقرب منها جزيرتان هما جزيرة القنتير وجزيرة طريف(1).

وعن جغرافية مدينة طريف نلاحظ ظاهرة الهضاب والتلال وهي تمتد بصورة واضحة على الساحل الجنوبي الأندلسي ويقل ارتفاع هذه الهضاب كلما اتجهنا الى مدينة طريف(2)، واستكمالاً لجغرافية طريف لابد من الاشارة الى مناخها فهو مناخ البحر الأبيض المتوسط ويوصف هذا المناخ بأنه حار جاف صيفاً دافئ ممطر شتاءًا ومناخ طريف حصراً يتأثر بالتيارات الهوائية القادمة من المحيط الأطلسي(3).

هذا الموقع المتميز تجلّى في الدور السياسي الذي لعبته مدينة طريف منذ بداية الفتح الاسلامي حتى سقوطها على انها قاعدة عسكرية ساهمت في تدعيم حركة الفتح الاسلامي واكمال مسيرة دعم الحكم المركزي بالاندلس بصورة عامة، فهي بوابة الأندلس ومفتاحها ومنطقة اشراف مباشر على الساحل الجنوبي الأندلسي، هذا الموقع الاستراتيجي أكسب العرب المسلمين سرعة الاتصال والعبور ومكنهم من سهولة التموين والنجدات وبالتالي فان العدوتين الأندلسية والمغربية أسهمتا في إطالة عمر الاسلام في الأندلس وأخرَّت زوال دولته لعدة قرون لكونها مرجع ثابت لهم متى أرادوا العودة إليه.

---

* مضيق جبل طارق: ممر مائي ضيق تلتقي فيه مياه غرب البحر المتوسط مع مياه شرق المحيط الأطلسي، ويبلغ طوله (33) ميلاً أي (61) كم. أما عرضه فيبلغ (24) ميلاً أي (44) كم عند النهاية الشرقية. وأضيق عرض للمضيق يبلغ (7,5) ميلاً أي (14) كم وتصل أعماقه الى (600) قامة بحرية ويشمل ساحل المضيق من جهة المغرب كل من مدينة سبتة (Ceuta) وقصر مصمودة وطنجة (Tangeir) ومن جهة شبه جزيرة ايبيريا جبل طارق (Gibratar) وجزيرة طريف (Tarifa) والجزيرة الخضراء (Algeciras).

ينظر: الادريسي، أبو عبدالله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالله بن ادريس الادريسي، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، وهو جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص247، 251، 263، 267؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، 1970، ص139؛ فالتر هنتس، المكاييل والموازين الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الأردنية، عمان، 1970، ص 65؛ A. S. Horaby, Oxford Dictionary of Current English, oxford, 1980, P. 1022؛ برزان ميسر الحامد، التاريخ السياسي للجزيرة الخضراء في الأندلس من الفتح حتى السقوط (92-780هـ/710-1378م)، ط1، دار ألفا للوثائق، الجزائر، 2019، هامش ص37.

(1) أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن مُحَمَّد صاحب حماة، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود والبارون ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م، ص888؛ الزهري، ابو عبدالله مُحَمَّد بن أبي بكر، كتاب الجغرافيا، تح: مُحَمَّد حاج صادق، مصر، د.ت، ص79-80؛ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1986، ص373.

(2) الحميري، الروض المعطار، ص193؛ الزهري، كتاب الجغرافيا، ص92؛ ابن الخطيب، لسان الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالله بن سعيد السلماني، الاحاطة الاحاطة في أخبار غرناطة، تح: مُحَمَّد عبدالله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973: 540/1.

(3) الحميري، الروض المعطار، ص121؛ الزهري، كتاب الجغرافيا والجغرافيين، ص582.

كان الجهاد الاسلامي لقادة الفتح وقادة المسلمين وعامتهم هو الغاية والهدف فعندما مكنتهم الظروف لفتح الاندلس لم يتوانوا عن السعي للوصول إليه بعد توقف قليل في بلاد المغرب استعداداً لعملية تحرير كبرى.

جرى اتصال بين يليان* حاكم مدينة سبنه[1] وطارق بن زياد* حاكم مدينة طنجة* إذ كانت تجمع بينهما علاقة جيدة فضلاً عن قرب المسافة بينهما، أتصل يليان بالمسلمين في آخر سنة 90هـ/708م[2]، وكان محور الاتصال يدور حول تقديم المساعدة للمسلمين في الدخول الى الأندلس ووصفها لهم وشن غارات على الأندلس لمصلحة المسلمين[3]، عرض طارق الفكرة على موسى بن نصير* مما دفع موسى الى

* جوليان أو يوليان: اختلف المؤرخين حول اسم يوليان وأصله اذ ورد بمسميات مختلفة منها (اليان) و(يليان) و(ليان) و(بليان) أما أصله فقد ذهب البعض الى كونه بيزنطي وفريق آخر يرى أنه قوطي الأصل وفريق ثالث يرى أنه من قبيلة غمارة البربرية وقد رجحت بعض الدراسات الحديثة ان أصله بيزنطياً وقد كان الحاكم البيزنطي العام لولاية موريطانيا الطنجية وهي تابعة لموريطانيا القيصرية إحدى الولايات السبعة الخاضعة للدولة البيزنطية فلما عجزت هذه الدولة عن حمايتها ولت سبتة وجهها شطر اسبانيا القوطية وقد بدأ يوليان ولايته بهذا الاقليم في سن مبكرة وانه أقام مدة طويلة في أقصى المغرب حتى توثقت علاقته بمن جاوره من قبائل المغرب.

ينظر: ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله، فتوح مصر وأخبارها، ليدن، 1920، ص25؛ الرقيق القيرواني، أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم، تاريخ افريقيا والمغرب، تونس، 1968، ص44-45، 73؛ البكري، أبو عبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشر ديسلان، الجزائر، 1857، ص104؛ حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ط1، القاهرة، 1953، ص15؛ الحامد، التاريخ السياسي للجزيرة الخضراء، ص49.

(1) ابن عبدالحكم، فتوح أفريقيا والأندلس، ص22؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/2-6.

* طارق بن زياد: أحد قادة موسى بن نصير المتميزين بحسن القيادة والبلاء وهو عربي من قبيلة صدف وقيل هو من البربر وكان موسى يثق به كل الثقة ويعتمد عليه حتى آثره لقيادة عملية فتح الأندلس على غيره من قادة العرب العظماء وقد توسم فيه صدق العزيمة وقوة الشكيمة وشد البأس وصلابة العود، وكان له شأن كبير في الفتوحات العربية في بلاد المغرب العربي وخاصة السيطرة على حصون المغرب الأقصى حتى المحيط الأطلسي.

ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 512؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة: 486/6؛ السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير: ج270/2-272.

* طنجة (Tanger) بلد صغيرة على ساحل بحر المغرب مقابل مدينة الجزير الخضراء من الساحل الجنوبي الأندلسي. ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت: 49/4.

(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص77؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهر، 1983، 45/24.

(3) ابن عبدالحكم، فتوح افريقيا والأندلس، ص22-23؛ المقري، نفح الطيب: 253/1؛ الحميري، الروض المعطار، ص8؛
Salma Khadra Jayyusi, The Legaey of Musliman Spain chief Manuela marin, E. J., Brill Leiden, 1994, p. 7.

* موسى بن نصير: ينتسب موسى بن نصير إلى أراشة من قبيلة بُلى العربية وهناك من ينسبه خطأ إلى بكر ابن وائل وذلك بسبب عُدّ اراشة من هذه العشيرة ولكن من المؤكد أن اراشة تعود إلى بُلى من قضاعة وليس إلى ابن وائل، أما نسبة موسى إلى قبيلة لخم فقد جاءت عن طريق الزواج فهو صهر حبيب اللخمي والد ايوب بن حبيب اللخمي الذي تولى الأندلس بعد مقتل عبدالعزيز بن موسى ولما شب موسى عمل في خدمة الفرع المرواني من الأسرة الأموية ولما عين الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق عاد موسى إلى مصر والتحق بخدمة عبدالعزيز بن مروان ثم استحصل عبدالعزيز بن مروان موافقة الخليفة عبدالملك بن مروان في اسناد ولاية افريقية سن 85هـ/704م إلى موسى بن نصير وقد أثبت موسى أنه جدير بهذا المنصب فأتم افتتاح الشمال الأفريقي إلى المحيط الأطلسي ثم انجز مع مساعده طارق بن زياد افتتاح الأندلس.

مراسلة الخليفة الوليد بن عبدالملك (86-96هـ) واخباره بالأمر فأشار عليه الخليفة باختبارها بالسرايا والتأكد من حسن نوايا يليان، بقوله: "ان خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها، ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال..."[1].

ويجب أن ننوه هنا بملاحظة مهمة وهي أن موسى بن نصير لم ينجرف بكل ما قدمه يليان من مغريات للمسلمين رغم استئناس المسلمين وترحيبهم بذلك. فقد قام موسى بإعداد سرية بقيادة القائد طريف بن مالك سنة 90هـ/708م بعد موافقة الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي أكد على اختبار الأندلس بالسرايا[2]، خوفاً على أرواح المسلمين من هذه المغامرة الخطرة.

تكونت حملة طريف بن مالك من خمس مئة مقاتل منهم أربعمائة راجل ومئة فارس، أبحرت هذه الحملة على متن أربع مراكب أعدها يليان للمسلمين وكان هدفها الاستطلاع واختبار المنطقة المتوجهة اليها وكان ذلك في رمضان من السنة 91هـ/710م، انطلقت الحملة من مدينة سبته ونزلت في جزيرة لاس بالوماس التي تقع على الشاطئ الاسباني وهي الجزيرة الموجودة والواقعة أمام مدينة طريف ثم توجهت هذه الحملة إلى الموضع الذي عرف فيما بعد بمدينة طريف نفسه نسبة إلى القائد طريف بن مالك المعافري المكنى أبو زرعة[3].

كان نزول طريف بن مالك وقواته بأرض الأندلس سهلاً وميسراً خاصة وأنه ظل بها عدة أيام لاكتمال جنوده وذلك لتعاون يليان معه، ويبدو لنا من سياق الاحداث أن المكان الذي نزل به طريف عبارة عن بلدة صغيرة مهملة من قبل القوط أنفسهم وهي البلدة التي اهتموا بها فيما بعد لدورها في عبور جيش المسلمين.

قامت حملة طريف بالمهمة المناط بها على أكمل وجه من استطلاع للمنطقة الجنوبية في الأندلس وهي الأراضي الممتدة من مدين طريف إلى مدينة الجزيرة الخضراء وهو الأمر الذي أمر به الخليفة الوليد بن

ينظر: ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ليدن، 1920، ص210؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تح: ابراهيم الابياري، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981، ص30؛ المقري، نفح الطيب: 286/1؛ الحامد، التاريخ السياسي للجزيرة الخضراء، ص64.

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص25؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص6؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 6/2.

(2) ابن الكردبوس، ابو مروان عبدالملك التوزري، تاريخ الأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، 1965-1966، مج45/13؛ الحميري، الروض المعطار، ص127؛

Anwar Chieine, Muslim Spain Its History and culture, The University of Mineesota, 1974,p.7.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، 512؛ ابن سعيد، المغرب في حُلى المغرب: 319/1؛ ابن ابي دينار، المؤنس في اختيار افريقيا وتونس، تح: محمد شمام، ط3، المكتبة العتيقة، تونس، ص36؛ محمد عبدالله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ط4، القاهرة، 1997، ج1-40/1.

عبدالملك وتمثل هذا الاستطلاع بعدد من الهجمات والغارات ابتداءًا من مدينة طريف إلى مدينة الجزيرة الخضراء التي قام طريف بمهاجمتها والحصول على الغنائم والسبي.

امتازت هذه الحملة بالحيطة والحذر حيث كانت تسير بمحاذاة الساحل الجنوبي الأندلسي لكي يسهل اتصالها بالمغرب عند تعرضها لأي هجوم محتمل من قبل القوط، إلا أنها لم تلق مواجهة عسكرية تذكر من قبل القوط[1]، فعادت الحملة مكللة بالنجاح مع الغنائم والأموال والسبي الذي لم ير مثله من قبل.

حملة طريف هذه والتي استغرقت مدة زمنية قصيرة كان لها أثر على المسلمين من جهة ويليان وجماعته من جهة أخرى، فهي عززت الفكرة الموجودة لدى يليان والقائلة بأن هدف المسلمين اقتصر على الغنائم والمكاسب ولذلك استمر يليان في تقديم اعانته للمسلمين حتى بعد هذه الحملة، كما كان لها أثر في تحفيز المسلمين للقتال بعد اكتشاف منطقة العدوة الأندلسية وهي أول أرض من الأندلس تطؤها أقدام المسلمين فهي مفتاح الأندلس وبابه[2].

بعد عصر الخلافة الزاهر، عصر سيادة قرطبة، عصر الناصر والمستنصر، عصر النهضة والحضارة، تدخل الأندلس حالة من التمزق السياسي، هذه الحالة تمثلها أسر سميت بملوك الطوائف أخذت تتنافس فيما بينها على مختلف الأمور ابتداءًا بالألقاب وانتهاءًا بالنفوذ والسلطان، كان تواجد هؤلاء على الساحة السياسية مع تواجد الخلافة الأموية تلك الخلافة التي لفظت أنفاسها نتيجة المطامع والتكالب على النفوذ الذي فرق وحدة الأندلس وقضى على هيبة الخلافة وعظمتها.

ومن خلال ملاحظاتنا للأحداث التاريخية نرى أن طريف برز دورها منذ عبور يوسف ابن تاشفين إلى الاندلس 483هـ/1090م. فبدأ مهمته بالسيطرة على طريف واضافتها لحكمه بجوار جارتها مدينة الجزيرة الخضراء، فكان ذلك بصورة ميسرة، ويرى الباحثان أن ذلك تم بدعم ومساندة من أهل طريف نفسها وهم الذين استاؤوا كبقية سكان مدن الأندلس من حكامهم وأقبلوا على الانضواء تحت حكم المرابطين كما أن القوة التي ابقاها يوسف بن تاشفين في الجزيرة الخضراء كان لها دور آخر في التمهيد لضم مدينة طريف وبث فكرة الانضواء تحت حكم المرابطين، وفي شوال من عام 483هـ/1090م، أعلن أن مدينة طريف انضمت إلى حكم يوسف بن تاشفين، وتتابع الأحداث حتى اكمل يوسف بن تاشفين

(1) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص45-46؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 5/2؛ الحميري، الروض المعطار، ص127؛ عبدالواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، 1982، ص161-162.

(2) ابن الأثير، عز الدين علي بن مُحَّد الجزري، الكامل من التاريخ، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ت، ص655.

سيطرته على كامل مدن الأندلس ما عدا مدينة سرقسطة التي استعان حاكمها المستعين بن هود بقوات نصرانية[1].

استمر اهتمام المرابطين للأندلس حتى بعد وفاة زعيمهم يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/1106م وبعد استلام علي بن يوسف زمام المرابطين وعبوره إلى الأندلس، وبعد أن استتب له الأمر بقرطبة عرّج على مدينة طريف للنظر في أحوالها وكان بها لقائه بأخيه تميم حاكم غرناطة[2]، مما يؤكد أهمية هذه المدينة واهتمام المرابطين بها، وبهذه المتابعة استقرت أوضاع مدينة طريف إلى نهاية حكم المرابطين بالأندلس.

لم تكن الأندلس بمنأى عن الصراع القائم بين الموحدين والمرابطين فقد كانت الأندلس ساحة أخرى للصراع القائم بينهما إلى ان آل أمر الأندلس للموحدين فكانت كبرى مدن الأندلس اشبيلية وغرناطة ومالقة وقادس* قد خضعت جميعها لحكم الموحدين[3]. اذ لم تتم السيطرة عليها من قبل الموحدين إلا بعد أن وضعوا أيديهم على مفتاح الأندلس طريف والجزيرة الخضراء ولم يتكبد جيش الموحدين أي عناء لضم مدينتي طريف والجزيرة الخضراء لتمكين أهل المدينتين لجيش الموحدين من دخول مدينتيهم[4].

يشير ابن ابي زرع الى رواية بلسان ابن فرحون بأن أول عبور للموحدين الى الأندلس كان في شهر ذي الحجة من سنة 539هـ/1144م وذلك بقيادة الشيخ موسى بن سعيد إذ نزلوا بجزيرة طريف وكان دخولهم لها طوعاً من أهلها[5].

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن مُحَمَّد الحضرمي، تاريخ ابن خلدون، المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط1، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1981، 250/6؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 249/5؛ المقري، نفح الطيب: 147/4.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 66/4؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تح: ليفي بروفنسال، القاهرة، 2006، ص247.

* قادس: (Cadiz) مدينة تقع في جنوب الأندلس طولها اثنا عشر ميلاً وهي اليوم الاقليم الاداري الذي يشمل العدوة الأندلسية. ينظر: الحموي، معجم البلدان: 330/4.

(3) المراكشي، عبدالواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب، القاهرة، 1994، ص179-180ح الذهبي، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2003: 146/12.

(4) الضبي، بغية الملتمس، ص38؛ المراكشي، المعجب، ص179؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص242-245،243.

(5) الانيس المطرب، ص188-189؛ الحامد، التاريخ السياسي للجزيرة الخضراء، ص134.

لقد أولى الموحدين لهذه المنطقة أهمية كبيرة وذلك لقربها من الساحل المغربي (العدوة المغربية) وحصانتها وسهولة الوصول اليها دون عائق يذكر وإيصالها جيوش الموحدين للأندلس، إذ أدت طريف دوراً بارزاً زمن الموحدين.

تتابعت حملات الموحدين للأندلس فقد جهز يوسف بن عبدالمؤمن جيشاً كبيراً بقصر مصمودة أمر بعبوره الى طريف في مستهل شهر رمضان 566هـ/1171م ولفخامة هذا الجيش لم يكتمل عبوره الى طريف إلا بعد اسبوعين وتابع العبور الخليفة نفسه يوسف عبدالمؤمن في السابع والعشرين من رمضان وكان في استقباله بمدينة طريف حشد من ولاة الأندلس ورجال الدولة[1].

بعد وفاة الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن تولى الخلافة بعده ابنه يعقوب المنصور أبو يوسف (580-595هـ/1184-1199م)، فقد بايعه أهل الأندلس بخيمته الواقعة على ربوة (حجر الإبل) الواقعة بالقرب من مدينة طريف ومنها ودع المنصور أهل الأندلس في يوم السابع من جمادى الاخرة سنة 580هـ/1184م بصحبة القائد أبي العباس الصقلي*، الذي كان في انتظاره على ساحل مدينة طريف بثلاث عشر قطعة بحرية[2].

تعد فترة حكم الموحدين لهذه المنطقة فترة تغيرات متتابعة سياسية وادارية فمنذ عام 539هـ/1144م الى عام 641هـ/1243م خرجت عن حكم الموحدين عدة مرات الأولى على يد يحي

(1) ابن عذاري، البيان المغرب قسم الموحدين، ص118؛ ابن صاحب الصلاة ابو مروان عبدالملك بن محمد الباجي، المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تح: عبدالهادي التازي، ط3، دار الغرب الاسلامي، لبنان، بيروت، 1987، 162.

* لم نتوصل إلى اسمه بالكامل لذا اكتفينا بالكنية واللقب حسب ما أوردته المصادر العربية.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص117؛ محمد عبدالله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ج2-3/131-12.

بن علي بن غانية* سنة 540هـ/1145م والثانية على يد المتوكل بن هود* سنة 628هـ/1230م ثم كان خروجها عن حكم الموحدين نهائياً وقبل سقوط دولتهم بفترة 667هـ/1268م[1].

أما التغيير الاداري فبعدما كانت مدن الساحل الجنوبي الأندلسي تعد اقليماً إدارياً مستقلاً تحولت الى مدن تابعة لأقليم مالقة ثم كانت تبعيتها لإشبيلية التي أصبحت قاعدة لجيوش الموحدين بعد عبورهم للأندلس[2].

ففي عصر الموحدين أدت مدن الساحل الجنوبي الأندلسي دورها وخاصة مدينة طريف التي ارتقت بدورها عن عصر المرابطين لتكمل مسيرتها على زمن بني الأحمر.

* يحيى بن علي بن غانيه: ينتمي بنو غانيه حكام الجزائر الشرقية (البليار) الى قبيلة مسوفة الصنهاجية، اشتهر منهم يحيى ومحمد أولاد علي المسوفي احد رجالات امير المسلمين يوسف بن تاشفين وسموا بهذا الاسم نسبة الى أمهم غانيه وهو تقليد مرابطي معروف.
ينظر: العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية، 1968، ص331؛

* المتوكل بن هود: هو محمد بن هود أول من ثار على الموحدين في الأندلس فهو سليل أسرة بني هود اصحاب مملكة سرقسطة سمى نفسه المتوكل على الله وخطب لنفسه وللخليفة العباسي في بغداد المستنصر بالله رافعاً الاعلام السود شعار العباسيين وأول أعماله أنه سيطر على مدينة مرسية وقبض على واليها الموحدي واعلنت مدن شرق الأندلس طاعتها له وبعدها سار محمد بن هود وراء الخليفة المأمون فوجده في جزيرة طريف يهم بالعبور إلى المغرب فقامت بينهم معركة انهزم المأمون ونجا إلى المغرب واستولى محمد بن هود على جبل الفتح والجزيرة الخضراء.
ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء: 309/2؛ ابن عذاري، قسم الموحدين، ص269؛ ابن سعيد، المغرب في حُلى المغرب ، ص271؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص280.

(1) ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص343.

(2) ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص260-261.

سجلت أسرة بني الأحمر* (بنو نصر) وأسرة بني مرين* صفحات رائعة في التاريخ بما سطرته كل منهما من انجازات سياسية وحضارية منها ذلك التحالف الذي أثمر في الصراع الدائر مع نصارى اسبانيا وحلفائهم بإطالة أمد التاريخ الاسلامي بالأندلس عدة قرون.

ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن أصل ونسب بنو الأحمر وبنو مرين ، بقدر ما يهمنا من الأمر الحديث حول وضع مدينة طريف ازاء التحالف الذي قام بين هاتين الأسرتين، فقد كان لهؤلاء (بنو مرين) الفضل في إعانة مُحَمَّد بن الأحمر في الجهاد الاسلامي في الأندلس ومدافعته لنصارى الاسبان عنها.

كان الاتصال الأول بين هاتين الأسرتين منذ عام 600هـ/1203م أو قبلها بقليل كغزاة مشاركين ضمن جيش بني الأحمر وكان لهم تواجد ميزهم عن غيرهم من غزاة المغرب مما كان له أثر ظاهر على سلاطين بني الأحمر الذين رحبوا بهم ودرجوا على استدعائهم لاعانتهم في القتال ضد الاسبان[1].

وقد أدرك مُحَمَّد بن يوسف بن الأحمر دعم بني مرين الذي تمثل في عدد من الحملات التي ضمت عدة آلاف من المقاتلين في وقت كان به بنو مرين في أمس الحاجة لكل مقاتل لدعم موقفهم أمام قوى بلاد المغرب المتنافسة فيما بينها[2].

وعرفاناً بالجميل قام سلطان غرناطة مُحَمَّد الفقيه بتسليم مدينتي رندة وطريف لبنو مرين، وبهذا كانت ثمرة التعاون عبور يعقوب بن عبدالحق (656-685هـ/1258-1286م) بنفسه الى الأندلس توّجها بهزيمة دنونة سنة (674هـ/1225م) والتي أجبر فيها النصارى الى طلب الصلح نتيجة انتصاراته

---

* بنو الأحمر: ويعرفون بنو نصر أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة جاءوا إلى الاندلس عقب الفتح الاسلامي لها ودخلوا في خدمة الدولة الاموية وقد اجتمعت المصادر التاريخية على أصالة وعراقة نسبهم فهم ينحدرون إلى نصر بن قيس من أحفاد سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري أحد كبار صحابة رسول الله (ρ) وسيد قبيلة الخزرج من الأنصار بالمدينة المنورة وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين أبو عبدالله مُحَمَّد بن يوسف بن مُحَمَّد بن أحمد ابن نصر الخزرجي المعروف والملقب بابن الأحمر.

ينظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط2، لبنان، بيروت، دار الافاق الجديدة، 1987، ص42؛ المقري، نفح الطيب، تح: احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1961: 1/446-448.

* بنو مرين: اختلفت آراء المؤرخين في أصل بنو مرين فمنهم من ذكر أن بنو مرين هم فخد من قبيلة زناتة من البتر أحد فرعي البربر والتي تفرقت منها شعوب كثيرة منهم مغراوة وبنو يفرن وبنو واسول وبنو مرين وبنو عبدالواد في حين رجح فريق آخر من المؤرخين نسبهم إلى الامام علي بن أبي طالب (τ) أي انهم اكدوا على عروبتهم وقد سموا بالمرينيين نسبة إلى اسم جدهم مرين.

ينظر: ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدول المرينية، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972، ص15؛ أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن مُحَمَّد الغرناطي الاندلسي ابن الاحمر، روضة النسرين في اخبار دولة بني مرين، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1962، ص10؛ ابو الوليد اسماعيل بن يوسف بن مُحَمَّد بن الأحمر، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، مخطوطةالاسكوريال، مدريد، رقم 1773، ورقة 11، 18-20.

(1) ابن خلدون، تاريخ: 4/220؛ المقري، نفح الطيب: 1/448-449.

(2) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص382؛ المقري، نفح الطيب: 1/448-449.

عليهم، ونظراً للعلاقة الطيبة بين بني الأحمر وبني مرين أحال يعقوب بن عبدالحق طلب الصلح الى السلطان مُحَمَّد الفقيه ليقره أو يرفضه[1].

هنا بهذا الاجراء يعيد السلطان مُحَمَّد الفقيه سقطة من سقطات من سبقه من الحكام المسلمين الذين وضعوا أيديهم بيد أعداء الاسلام لا لشيء سوى حب السلطة والتملك والنفوذ. وكما جنى سابقوه جنى هو أيضاً. فبعد أن اتفق مع الفونسو العاشر ملك قشتالة (650-683هـ/1252-1284م) (والملقب عندهم: العالم El sabio) خلع سنة 681هـ/1282م، على أن يعينه على استرجاع مدينة طريف من بني مرين مقابل اعطائه ستة حصون هي (حصن شكبيش وحصن طلبيرة، وحصن نقلة وبليس وقشتل والمسجير) وذلك ليس لعدم أهمية هذه الحصون الستة بل لمدى اهتمامه بمدينة طريف إحدى مدن العدوة الاندلسية[2]، نقض الفونسو العاشر الاتفاق ووضع يده على مدينة طريف بعد إخراج بني مرين منها.

أفاق مُحَمَّد الفقيه متأخراً كأمثاله من الحكام بعدما أضاع مدينة طريف بل والأكثر من هذا وقف حائلاً لقوات بني مرين من العبور الى الأندلس صفاً واحداً مع أساطيل الفونسو العاشر[3].

وقد شاءت الأقدار أن يحصل خلاف بين الفونسو العاشر وابنه شانجه عام (681هـ/1282م) وبهذا النزاع لاحت الفرصة أمام يعقوب بن عبدالحق عندما أرسل إليه الفونسو رسالة يطلب فيها إعانته لاسترجاع ملكه، وأمام هذه الفرصة لم يتوانى يعقوب لإعانة الفونسو ولكن للوصول الى الأندلس، وبهذا التحالف حقق يعقوب مراده بعبوره الى الأندلس ومهاجمة أراضي النصارى[4].

ومن خلال هذه الأحداث أدرك السلطان مُحَمَّد الفقيه أن نجاته وبقائه بحكمه يتطلب منه إعادة العلاقة السابقة مع بني مرين فأرسل في عام (682هـ/1282م) الى يعقوب يطلب منه العبور الى الأندلس لإصلاح أحوالها لكن يعقوب كان أكثر حيطة وحذر من ذي قبل اذ لم يتحرك إلا بعد سنتين أي في عام (684هـ/1285م) بإرسال جيش بقيادة ابنه منديل لا لحرب النصارى بل الوقوف على الحدود بين

(1) المقري، نفح الطيب: 1/448-449؛ الناصري، الاستقصا: ج1-3/48؛ ابن خلدون، تاريخ: 4/220-221.

(2) ابن ابي زرع، الانداس المطرب: ص502؛

Hage Seymour – Davies Andalusia, Philips Travel Guides Italy, 1990, p.78.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى: 5/258؛ الناصري، الاستقصا: ج1-3/49؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص42؛ ابن الخطيب، اعمال الاعمال. ص291.

(4) الناصري، الاستقصا: ج1-3/56-57؛ ابن خلدون، تاريخ:7/270-271.

المملكتين بنو مرين وبنو الأحمر ثم تلا ذلك عبور يعقوب بنفسه الى الأندلس لجهاد النصارى الذي لم يمّلَ من قتالهم وعاد منهم سنة 685هـ/1286م حيث توفي في طريق عودته للمغرب بمدينة الجزيرة الخضراء[1].

خلف يعقوب بن عبد الحق المريني على الحكم ابنه يوسف (685-706هـ/1286-1306م) الذي كمّل مسيرة والده تجاه الأندلس وعمل على تقوية أواصر العلاقة مع دولة بني الأحمر التي نهج معها منهجاً آخر وهو تسليم عدد من المدن والحصون لمحمد الفقيه تأكيداً على أن بني مرين لا يرغبون في وضع يدهم على الأندلس، كما قام يوسف بالتنازل لمحمد الفقيه عن مدينة الجزيرة الخضراء ورندة[2].

أتى هذا النهج الجديد بنتائجه الطيبة فزادت العلاقة قوة وارتباطاً، فعبر السلطان مُحَمَّد الفقيه الى المغرب سنة (692هـ/1292م) بعد مراسلة يوسف بن يعقوب طالباً منه الصفح، وقد مثَّل عبور مُحَمَّد الفقيه صورة مشرقة من صور التحضر في العلاقة بين الأسرتين بعد حدوث الفرقة بينهما، فعبر مُحَمَّد الفقيه معتذراً عما أحدثه بمدينة طريف وحاملاً الهدايا ليوسف الذي بادره هو الآخر بالإكرام والترحيب مستقبلاً إياه في مدينة طنجة وباذلاً له هدايا تفوق ما أتى به وبهذا التقارب كان التحالف في العام التالي 693هـ/1293م لاستعادة مدينة طريف لكن حصار يوسف لطريف باء بالفشل وبقيت طريف عيناً للنصارى على مضيق جبل طارق[3].

إن فقدان مدينة طريف كان له أثر بالغ على المسلمين وأولهم السلطان مُحَمَّد الفقيه فما كان من السلطان المريني إلا أن أمر وزيره عمر بن السعود بن خرباش الحشمي* بقيادة حملة ترافق السلطان الفقيه لاستعادة طريف فضرب عليها الحصار لفترة زمنية عاد بعدها خالي الوفاض لبلاد المغرب، وتشير المصادر الى أن فشل حملة عمر بن السعود عائد البطولة قائد الحملة القشتالية* بطريف قُزمان الطيب[4] (غوزمان)*.

(1) ابن الخطيب، الاحاطة: 562/1-563؛ اللمحة البدرية، ص42؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص177؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص415.

(2) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص177؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص493-496؛ ابن الخطيب، الاحاطة: 562/1-563.

(3) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص505 وما بعدها؛ الناصري، الاستقصا، ج1-3/70-75.

* عمر بن السعود بن خرباش الحشمي: أحد قاد الجيش المريني على عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق، حارب أهل تازوطة سنة 691هـ/12911م وشارك في حروب المغرب مع نصارى الاسبان سنة 692هـ/1292م وظل قائداً عسكرياً طيلة حياته.

ينظر، ابن ابي زرع، الانيس المطرب، الرباط، 1972، ص383، ابن خلدون، العبر، بيروت، 1979: 217/7؛ الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954: 83/3.

* وردت عدة روايات في شأن من كان على قيادة هذه الحملة فرواية تشير إلى الدوق غوزمان، وأخرى تشير إلى مديتا سيدونيا.

ينظر: أمين توفيق الطيبي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، الدار العربية للكتاب، 1984، ص294؛ عنان دول الاسلام: 165/4.

(4) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص505-506؛ ابن خلدون، تاريخ: 286/7.

* لم نقف على حيثيات هذه الشخصية اذ لم تفصح عنها مصادرنا العربية.

ولأهمية طريف وحاجة دولتي بني الأحمر وبني مرين لها أعاد السلطان يوسف الكرة عليها سنة 693هـ/1293م يصحب معه الوزير عمر بن السعود رغبة منه في الاستفادة من خبرته السابقة في حصار طريف لكن طريف استعصت عليهم للمرة الثانية فعادوا عنها الى بلاد المغرب[1]، وبذلك ضُمت طريف الى مناطق نفوذ حاكم قشتالة.

استمرت العلاقة طيبة بين السلطان مُحَمَّد بن اسماعيل بن الأحمر(725-733هـ/1325-1333م) والسلطان أبا الحسن علي بن عثمان المريني (731-752هـ/1331-1352م) ففي عهد هذا الأخير تجلى اهتمامه ببقاء العلاقة متواصلة مع بني الأحمر هو اقراره الغزاة من بني مرين بالأندلس للجهاد ودعم لسلطان غرناطة أبا الحجاج يوسف بن الأحمر بجيش كبير يقوده ابنه أبو مالك، تمكن على إثره من غزو بلاد النصارى والعودة الى المغرب[2]، بالاضافة الى منازلته لمدينة طريف في محاولة منه لاسترجاعها من يد النصارى لكن أبا الحسن عاد منها دون أن يسترجعها بعد أن نازله الفونسو الحادي عشر دونها (712-751هـ/1312-1350م)[3].

بذل بنو مرين قصارى جهدهم لإبقاء مدن الساحل الجنوبي الاندلسي على حال يمكنهم من العبور الى الأندلس متى شاؤوا فتارة يشحنوها بالعدة والعتاد والجند لإبقائها آمنة من هجمات النصارى وتارة نجدهم يقيمون أسوار لمدنها وقلاعها زيادة في حمايتها وغير ذلك من أساليب العناية والاهتمام[4]. وهذا كله تم بتعاون مشترك بين الأسرتين.

ظهرت أهمية مدن الساحل الجنوبي الأندلسي عندما سيطر النصارى على مدينة طريف سنة (691هـ/1292م) توقفت على أثرها حملات بني مرين بعض الشيء لخروج طريف عن سيطرة المسلمين، وحاول النصارى من خلالها إعاقة خروج تلك الحملات[5]. واحساساً بهذا الخطر قام بنو مرين وبنو الأحمر

(1) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص505-506.

(2) ابن خلدون، تاريخ: 223/4؛ الناصري، الاستقصا: ج1-134/3؛ مُحَمَّد كمال شبانة، يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1969، ص34-123.

(3) ابن الخطيب، الاحاطة: 321/4-322؛ الناصري، الاستقصا: ج1-134/3؛ مُحَمَّد كمال شبانة، يوسف الأول، ص34-123.

(4) ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح: مُحَمَّد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص29-30؛ المقري، نفح الطيب: 448/1؛ العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، 2003: 235/4-236.

(5) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص291؛ الناصري الاستقصا: ج1-74/3-75.

وابتداءًا من هذه الفترة بتكثيف قوات المسلمين وخاصة بني مرين بهذه المدن رغبة في حمايتها لتأمين الاتصال فيما بينهما.

وهنا جاء نظام مشيخة الغزاة* ذلك التنظيم القوي من نوعه في تلك الحقبة الزمنية ويقصد به أن يكون لجنوب الاندلس مجموعة من المقاتلين ممن وهبوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله دعماً لدولة الاسلام في الأندلس (بنو الأحمر) تكون قيادتهم لبني مرين القوة الأغلب ضمن هؤلاء المقاتلين وقد كان مقر مشيخة الغزاة بالقرب من جبل طارق ويمتد تواجدها الى مدينتي طريف والجزيرة الخضراء، وقد لاقى هذا التنظيم اهتماماً كبيراً من قبل بني مرين تمثل في الدعم بالجند والمال والأسلحة، كما اهتم سلاطين بني مرين بأمر من يقوم بقيادة الغزاة فضلاً عن اهتمام سلاطين بني الأحمر بمشيخة الغزاة فكانوا على اتصال دائم بقادة الغزاة والاجتماع بهم للنظر في أمر الجهاد(1).

أدرك النصارى مدى خطورة دعم بني مرين لإخوانهم في الأندلس، لذا كان قرارهم التوجه لجنوب الأندلس لإنهاء هذا الدعم بكل ما أتوا به من تمدد وعتاد. وأمام هذا التهديد اندفع السلطان أبو الحجاج يوسف بن الأحمر (733-755هـ/1333-1354م) لطلب المساعدة من السلطان أبي الحسن المريني الذي أرسل ابنه أبا مالك لدفع ضرر نصارى الاسبان عن مملكة غرناطة، ورغم ما حققه أبو مالك من انتصارات إلا أن هزيمته سنة 740هـ/1339م في تلك المعركة (برية بحرية) ومقتله فيها كانت بداية غلبة النصارى على المسلمين في هذه المنطقة(2).

أعدَّ السلطان المريني العدة لقتال النصارى ثأراً لمقتل ابنه وسعياً لاستعادة مدينة طريف من يد النصارى، ولهذه المعركة استعان أبو الحسن بالسلطان الحفصي المتوكل بن أبي يحيى* (692-

---

* مشيخة الغزاة: من الخطط الأندلسية مهمتها دفاعية عرف رئيسها باسم شيخ الغزاة، تولى بنو العلاء (من اقارب السلطان المريني) قيادة المشيخة وهي منصب عسكري أول من تولاها عبدالله ابن أبي العلاء حتى استشهد سنة (693هـ/1293م، فكانت لأخيه من بعده ابي عثمان بن أبي العلاء.
ينظر: عبدالرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، ط5، دار القلم، دمشق، 1997، ص540.

(1) ابن الخطيب، الاحاطة: 4/64-65؛ ابن الخطيب، ديوان الصيب، ص31؛ المقري، نفح الطيب: 1/448-449.

(2) ابن الخطيب، ديوان الصيب، ص36؛ محمد عبدالله عنان، دولة الاسلام في الأندلس: 4/126-127.

* المتوكل بن أبي يحيى: هو أبو بكر بن يحيى بن ابراهيم الحفصي المتوكل على الله، كان قد ولى اخيه عبدالله قسطنطينية ثم انتفض على أخيه وأظهر موالاة اللحياني (زكريا بن أحمد) واستمر يستميل الفأسبالي نفسه فقوى ونشبت بينه وبين ابي شربة (محمد بن زكرياء) حروب، استمرت نحو (5) سنين، وانتهت بفوز المتوكل سنة 723هـ، فاستقر في تونس وثار عليه آخرون، فلم تصف الخلافة الا عام 730هـ وعاش بعد ذلك آمناً إلى أن توفي بتونس وكان شجاعاً حازما.
ينظر: الباجي المسعودي، الخلاصة النقية، في أمراء افريقية، تح: محمد زينهم محمد عزب، ط1، القاهرة، دار الآفاق العربية، 2012، ص183-184؛ خير الدين الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين، 2002: 2/71.

747هـ/1293-1346م) الذي أمده بحملة عسكرية مكونة من ستة عشر قطعة بحرية بقيادة زيد بن فرحون* قائد اسطول بجاية، كما شاركه هذه الحملة السلطان أبو الحجاج يوسف بن الأحمر، وبهذا التحالف ضرب أبو الحسن حصاراً برياً وبحرياً على مدينة طريف بعد عبور شاق لمضيق جبل طارق حيث كانت به أساطيل نصارى الاسبان تحاول منعه من العبور الى الأندلس بأمر من الفونسو الحادي عشر، رغم أن عبور قوات بني مرين كان بمئة وأربعين جفناً غزوياً، وما أن عبر أبو الحسن الى الأندلس في ثالث محرم من عام (741هـ/1340م) حتى ضرب الحصار على طريف بقوات بلغ عددها ستين الف مقاتل منصب عليها آلات عرفت بالانفاط فضلاً عن آلات الحرب الأخرى[1]، فكان هذا ثمرة التعاون العسكري المشترك بين الاسرتين.

كان الفونسو الحادي عشر قد أعدَّ خطة هَدَفَ من خلالها اضعاف قوات المسلمين المحاصرة لطريف ومن ثم الانقاض عليها وذلك بإرسال اسطول بحري لمضيق جبل طارق مهمته قطع طريق الامدادات من المغرب الى الأندلس لاستنزاف مؤن وعتاد المسلمين، ورغم استعدادات المسلمين وتجهيزاتهم إلا أن مدة ستة أشهر لم تكن كافية ليستعيد المسلمين مدينة طريف، ولطول فترة الحصار وبقاء المسلمين على حصار طريف، تحرك الفونسو الحادي عشر ملك قشتالة لنجدتها فتحالف مع الفونسو الرابع ملك البرتغال وبيدرو الرابع ملك ارغون بشن هجمة عسكرية على جيوش المسلمين في السابع من جمادى الاخرة سنة 741هـ/1340م عرفت في المصادر العربية بـ(معركة طريف) وفي المصادر الاسبانية[2] بـ (Bataalla Del Rio Salado) وسماها ابن الخطيب في كل من الاحاطة[3] واللمحة البدرية[4] باسم (الوقيعة العظمى).

وفضلاً لاستنزاف الفونسو الحادي عشر لقوة المسلمين أرسل فرقة من جيشه تسللت وتمكنت على حين غفلة من الحرس دخول مدينة طريف والمكوث فيها قبل ليلة من يوم القتال، وعندما بدأ القتال بين المسلمين والنصارى خرجت هذه الفرقة وهاجمت مؤخرة جيش المسلمين مما أدى إلى اختلال صفوفهم

* زيد ين فرحون: كل ما وصلنا عنه أنه كان قائد اسطول مدينة بجاية ولم ترد عنه معلومات اخرى ولم نعثر له على ترجمة.

(1) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص305؛ الاحاطة: 4/321-322؛ الناصري، الاستقصا: ج1-3/136-137؛ شكيب ارسلان، الحلل الموشية: 2/314.

(2) رشيد العفاقي، جبل طارق في العصر الاسلامي مقصد العلماء والادباء، مجلة الفيصل، العدد 314، شعبان 1423هـ- 2002م، ص36.

(3) الاحاطة: 4/325.

(4) اللمحة البدرية، ص108.

وهزيمتهم حتى وصل جند النصارى الى فسطاط السلطان أبي الحسن المريني وقتلوا من به من النساء والأطفال فضلاً عن خسارتهم سبعة وستين قطعة بحرية[1].

كل ما بذله المسلمون من جهد وجهاد ذهب أدراج الرياح واعتبر بداية النهاية لدولة بني الأحمر والوجود الاسلامي في الأندلس وذلك بانقطاع الامدادات العسكرية عن بني الأحمر وهي في الأصل قد ضعفت عند سقوط دولة بني مرين وزوال نفوذها عن مسرح الاحداث السياسية.

فبدأت هجمات المسلمين الى مدينة غرناطة ومنهم سكان طريف مما أدى الى زيادة الأعباء على دولة بني الأحمر التي هوت أمام اتحاد ملك ارغون فرناندو الرابع (Fernando V) والملكة ايزابيلا (Isabilla) ملكة قشتالة سنة (897هـ/1492م)[2].

ولما كانت طريف أول قدم يطأها المسلمون من بلاد الأندلس أصبحت الآن آخر قدم يطأها المسلمون من بلاد الأندلس بهجراتهم المتتالية الى بلاد المغرب، فمنذ عام (897هـ/1492م) بدأ أهل مدينة طريف بالخروج الى مدينة آسفن وازمور وغيرها من بلاد المغرب، واستمرت الهجرات متتالية من مختلف مدن الأندلس وخاصة بعد سقوط غرناطة (897هـ/1492م) عندما قام آخر سلاطين بنو الأحمر وهو السلطان ابو عبدالله مُحَمَّد بتسليم مفاتيح قصر الحمراء الى الملكين الكاثوليكيين فرديناند وايزابيلا في الثاني من كانون الثاني من العام نفسه.

والله وارث الأرض وما عليها

ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

(1) ابن الخطيب، أعمال الاعلام ، ص337؛ اللمحة البدرية، ص92-93؛ ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام، ص36-7؛ ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، علق على حواشيه، مُحَمَّد الكتاني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1970: 15/1؛ ابن الازرق مُحَمَّد الأندلسي، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: مُحَمَّد عبدالكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د.ت، 587/2.

(2) الناصري، الاستقصا، ج2-98/4؛ عنان، دولة الاسلام: 165/4؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص552؛

Hage Seymour, Andalusia, P.13.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من الإعداد النظري لهذه الدراسة يمكن تسجيل النتائج التالية:

1- أسهمت جزيرة طريف أو مدينة طريف بدور كبير في الفتح الاسلامي للأندلس، فاحتوت معترك الفتح في البدء، ثم كانت قاعدة لتلك الحملات العسكرية، تنطلق منها بثبات واستقرار.

2- يعود عدم ظهور مدينة طريف على مسرح الأحداث التاريخية في عصر الولاة بالأندلس، رغم دورها السياسي على مر الحقب التاريخية لصغر حجمها، وعدم وجود مدينة جبل طارق.

3- كان لأبناء طريف دور كبير في استقرار بلادهم خلال عصر الامارة الأموية، باتصالهم المباشر مع الأمراء الأمويين، واخبارهم بكل ما يجدُّ ببلادهم من حركات للثوار والخارجين عن الحكم المركزي.

4- انضواء طريف تحت حكم المرابطين بزعامة يوسف بن تاشفين دون أن يرسل اليها حملة عسكرية لدليل على مدى استياء أهلها من حكامهم كبقية مدن الأندلس.

5- أدت طريف الدور المناط بها في تمكين المرابطين من مساعدة اخوانهم بالأندلس من هجمات نصارى اسبانيا، وذلك بموقعها الاستراتيجي الذي سهل عملية الاتصال والتموين، مما أسهم في مد عمر الاسلام في الأندلس وأخرّ زوال دولته لعدة قرون.

6- تعود أهمية سيطرة الموحدين على طريف الى عدة جوانب هي: أهمية طريف بالنسبة للصراع القائم مع المرابطين- كونها قاعدة تمتاز بالحصانة، والاتصال المباشر بالمغرب- أكسبت طريف الموحدين حرية العبور للأندلس بصورة استفاد منها الموحدون أيما استفادة وظهر هذا ملياً أثناء الصراع مع النصارى الاسبان.

7- شكلت طريف وسيلة الاتصال الأفضل من كافة الجوانب لأي علاقة تمتد جسورها بين المغرب والأندلس.

8- أيقن نصارى اسبانيا أهمية العدوة الأندلسية في التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين.

9- شمل دور طريف في التعاون العسكري المشترك بين بني الأحمر وبني مرين الجانب البري والبحري للحملات العسكرية.

10- اعتبر نصارى اسبانيا طريف خط الدفاع الأول عن الكيان الاسلامي للأندلس، وذلك ابتدءًا من القرن السابع الهجري، لما حققته من تعاون عسكري مشترك بين قوى المغرب وقوى الأندلس على

عصر ملوك الطوائف، وحكام المرابطين، وحكام الموحدين، ولهذا جاءت حملات نصارى اسبانيا على طريف ضرب من ضروب الحملات الصليبية المدعومة من كنيسة روما.